

اليامي



الآثار التعبدية على
الأعمال والسلوك : الآثار
الخاصة على الفرد

www.with-allah.com



د. محمد بن سرّار اليامي
د. عبدالله بن سالم باهمام

الأثار التعبدية على الأعمال والسلوك:

توحيد الله يظهر في سلوك الإنسان وأفعاله، كما الإنسان وفعله كما يظهر في قلبه وتقواه، يظهر في سلوكه الخاص ويظهر في سلوكه مع الناس؛ فالحياة كلها أثر من آثار الإيمان والتوحيد والعبادة، قال تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾) [الذاريات: ٥٦]، ومن آثاره الواضحة على سلوك الإنسان الخاص:

أولاً. الأثار الخاصة على الفرد:

الطهارة:

توحيد الله أعظم ما تحصل به طهارة المؤمن؛ ولذا يحبه الله، قال جل وعز: (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَاتِبِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ ﴿٣٣﴾) [البقرة: ٢٢٢]، وقال ﷺ: ”الطهور شطر الإيمان“ (رواه مسلم)، فالطهور شطر الإيمان، لأنه أحد أهم أنواعه، والله يحب الطهارة بجميع أنواعها، سواء كانت:

١. الطهارة المعنوية: والتي يراد بها تطهير النفس من آثار الذنب والمعصية والشرك بالله، وذلك بالتوبة الصادقة، وتطهير القلب من أقدار الشرك والشك والحسد والحقد والغل والكبر، ولا يكون ذلك التطهير إلا بالإخلاص لله وحب الخير والحلم والتواضع والصدق وإرادة وجه الله تعالى بالأعمال.

قال ﷺ: ”الطهور شطر الإيمان“ (رواه مسلم).

٢. الطهارة الحسية: المراد بها إزالة الخبث ورفع الحدث:

- إزالة الخبث: تكون بإزالة النجاسات - بالماء الطاهر - من اللباس والبدن والمكان، وما في حكمه.
- رفع الحدث: المراد به الوضوء والغسل والتيمم؛ من أجل الصلاة، أو قراءة القرآن، أو الطواف ببيت الله، أو ذكره تعالى، أو غير ذلك.



الصلاة:

يَتَجَلَّى تَوْحِيدَ اللَّهِ فِي الصَّلَاةِ الَّتِي هِيَ صَلَاةُ الْعَبْدِ بِرَبِّهِ يُعْلَنُ ، يُعْلَنُ فِيهَا الْعَبْدُ لِرَبِّهِ الطَّاعَةَ وَالْمَحَبَّةَ وَالْخُضُوعَ وَالِاسْتِكَانَةَ، وَلِذَا فَهِيَ أَعْظَمُ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ بَعْدَ الشَّهَادَتَيْنِ؛ وَهِيَ عِمَادُ الدِّينِ وَنُورُ الْيَقِينِ، فِيهَا تَطْيِبُ النَّفْسِ وَيُنْشَرِحُ الصَّدْرَ وَيَطْمَأَنُّ الْقَلْبَ، وَهِيَ زَاجِرَةٌ عَنِ فِعْلِ الْمُنْكَرَاتِ، وَسَبَبٌ لِتَكْفِيرِ السَّيِّئَاتِ، وَهِيَ أَعْمَالٌ مَخْصُوصَةٌ فِي أَوْقَاتٍ مَخْصُوصَةٍ مَفْتُوحَةٌ بِالتَّكْبِيرِ مَخْتَمَةٌ بِالتَّسْلِيمِ.

وَتَارَكَ الصَّلَاةَ الْجَاهِدَ لَهَا مُكَذِّبٌ لِرَسُولِهِ، مُنْكَرٌ لِلْقُرْآنِ، وَهَذَا يَتَنَافَى مَعَ أَصْلِ الْإِيمَانِ، أَمَا مَنْ يَعْلَمُ وَجُوبَهَا وَيَتْرَكُهَا تَكَاسُلاً؛ فَقَدْ عَرَّضَ نَفْسَهُ لَخَطَرٍ عَظِيمٍ وَلَوْعِيدٍ شَدِيدٍ، يَقُولُ ﷺ: "إِنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشَّرْكِ وَالْكَفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ" (رواه مسلم)، وَقَالَ آخَرُونَ: هُوَ كَفْرٌ، لَكِنَّهُ لَيْسَ الْكَفْرُ الْأَكْبَرُ، وَعَلَى كُلِّ هُوَ إِمَّا كَفْرٌ مَخْرُجٌ مِنَ الْمِلَّةِ، أَوْ أَكْبَرُ الْكِبَايِرِ وَأَعْظَمُ الْمَوْبِقَاتِ.

قَالَ ﷺ: "الصَّلَاةُ نُورٌ" (رواه البيهقي).

وَلِلصَّلَاةِ آثَارٌ عَلَى الْعَبْدِ مِنْهَا :

تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (أَتْلُ مَا أُوْحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾) [العنكبوت: ٤٥].

١. الصَّلَاةُ أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ بَعْدَ الشَّهَادَتَيْنِ؛ لِحَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: "سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ: أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: الصَّلَاةُ لَوْ قَتَلْتَهَا، قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: بَرُّ الْوَالِدَيْنِ، قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ: الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ" (رواه مسلم)؛ فَهِيَ أَفْضَلُ مَا يَتَقَرَّبُ بِهِ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ.



٢. الصَّلَاةُ تَغْسِلُ الْخَطَايَا؛ لحديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: "مثل الصلوات الخمس كمثل نهرٍ جارٍ غمرٍ على باب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات" (رواه مسلم).

٣. الصَّلَاةُ أَنهَا نُورٌ لِصَاحِبِهَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ: قال ﷺ عن الصلاة: "من حافظ عليها كانت له نورًا وبرهانًا ونجاة يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور ولا برهان ولا نجاة، وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبي بن خلف" (رواه أحمد)، وقال ﷺ: "الصلاة نور" (رواه البيهقي).

٤. الصَّلَاةُ يَرْفَعُ اللَّهُ بِهَا الدَّرَجَاتِ، وَيَحِطُ الْخَطَايَا؛ لحديث ثوبان مولى رسول الله ﷺ، أنه ﷺ قال له: "عليك بكثرة السجود، فإنك لا تسجد لله سجدةً إلا رفعك الله بها درجة، وحطَّ عنك بها خطيئة" (رواه مسلم).

٥. الصَّلَاةُ مِنْ أَعْظَمِ سَبَابِ دُخُولِ الْجَنَّةِ بِرَفِيقَةِ النَّبِيِّ ﷺ؛ لحديث ربيعة بن كعب الأسلمي رضي الله عنه قال: "كنت أبيت مع رسول الله ﷺ، فأتيته بوضوئه وحاجته، فقال لي: سَلْ، فقلت: أسألك مرافقتك في الجنة، قال: أَوْغَيْرَ ذَلِكَ؟ قلت: هو ذلك، قال: فأعني على نفسك بكثرة السجود" (رواه مسلم).

٦. أَنهَا صِلَةٌ بَيْنَ اللَّهِ الْقَوِيِّ وَالْعَبْدِ الضَّعِيفِ؛ ليقوى الضعيف بقوة القوي المتين جل وعز، ويكثر من ذكره وتعلق القلب به؛ وهو أهم مقصودات الصلاة؛ قال تعالى: (وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي) [طه: ١٤].

الزكاة:

الزكاة تطهير ونماء للنفس
والمال والمجتمع.

من النماء والتطهير، طَهَّارَةٌ نَفْسِ الْعَبْدِ الْمُؤَجَّدِ تجعله يُزَكِّي بِهَا لِيُطَهِّرَهُ بِالزَّكَاةِ، فَالزَّكَاةُ حَقٌّ وَاجِبٌ فِي مَالِ الْأَغْنِيَاءِ تُؤَدِّي لِلْفُقَرَاءِ، وَمِنْ فِي حُكْمِهِمْ؛ لِتَحْقِيقِ رِضَا اللَّهِ، وَتَرْكِيَةِ النَّفْسِ وَإِحْسَانًا لِلْمُحْتَاجِينَ.

وللزكاة أهمية عظيمة في الإسلام، ولذا كانت الحكمة في تشريعها تدل دلالة واضحة على أهميتها، والمتأمل في هذه الحكم سيرى أهمية هذا الركن العظيم وأثره الكبير، ومن هذه الآثار:

١. تطهير النفس البشرية من رذيلة البخل والشح والشره والطمع.
٢. مواساة الفقراء وسد حاجات المحتاجين والبؤساء والمحرومين.
٣. إقامة المصالح العامة التي تتوقف عليها حياة الأمة وسعادتها.
٤. الحدّ من تضخم الأموال عند الأغنياء والتجار، كي لا تحصر الأموال في طائفة محدودة أو تكون دولة بين الأغنياء.
٥. أنها تجعل المجتمع الإسلامي كأنه أسرة واحدة يعطف فيها القادر على العاجز والغني على المعسر.
٦. الزكاة تُزيل ما في النفوس من حَقِّقٍ وَسَخَطٍ على الأغنياء، وحسدٍ وحقدٍ لهم على ما أنعم الله عليهم من رزق.
٧. الزكاة حائلا على حدوث الجرائم المالية؛ مثل السرقات والنهب والسطو.
٨. أنها تزكي المال؛ أي تنميه.

وقد جاءت نصوص الكتاب والسنة لتدل دلالة واضحة على وجوب الزكاة، ويبيّن النبي ﷺ أنها إحدى دعائم الإسلام القوية التي بُني عليها، ولذا كانت الركن الثالث من أركان هذا الدين؛ قال تعالى: (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ) [البقرة: ٤٣]، وقال تعالى: (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) [البقرة: ١١٠]، وفي حديث جبريل المشهور: "الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ﷺ، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً" (رواه مسلم)، وقال ﷺ: "بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان" (رواه البخاري)، فمثل هذه النصوص تدل دلالة واضحة على أن الزكاة هي أحد أركان الإسلام ومبانيه العظام التي لا يتم الإسلام إلا به.



الصيام:

شرح الله الصيام وجعله أحد أركان الإسلام، وهو الإمساك - بنية التعبد لله - عن المفطرات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، قال تعالى: (وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُمُوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ) [البقرة: ١٨٧]، واستقرار الإيمان في قلب العبد، وتوحيده لله سبب في امتثاله ما كتب الله عليه، مُثَمِّلًا لقوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)

[البقرة: ١٨٣]

الصوم مدرسة
لبناء الإيمان
في النفس.

فيفرح المُوحد بالصَّيام، ويُسرِع إليه قال جل وعز في الحديث القدسي: "كل عمل ابن آدم له إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به.." (رواه البخاري).

آثار الصوم على العبد كثيرة منها:

١. أنه سرّ بين العبد وخالقه، يتمثل فيه عنصر المراقبة الصادقة في ضمير المؤمن؛ إذ لا يمكن أن يتطرق له الرياء بحال؛ فهو يربي في المؤمن مراقبة الله وخشيته؛ وتلك غاية نبيلة وهدف سام تقصر دونه مطامع كثير من الناس.
٢. أنه يعوّد الأمة النظام والاتحاد وحب العدل والمساواة، ويكوّن في المؤمنين عاطفة الرحمة وخلق الإحسان، كما يصون المجتمع من الشرور والمفاسد.
٣. أنه يجعل المسلم يشعر ويحس بالآلام أخيه؛ فيدفعه ذلك إلى البذل والإحسان إلى الفقراء والمساكين؛ فيتحقق بذلك المحبة والأخوة بين المسلمين.
٤. أنه تدريب عملي على ضبط النفس وتحمل المسؤولية وتحمل المشاق.
٥. أنه وقاية للإنسان من الوقوع في الإثم، وأنه يجزى به الخير الكثير، قال ﷺ: "الصيام جنة، فلا يرفث ولا يجهل، وإن امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل: إني صائم، مرتين. والذي نفسي بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله تعالى من ريح المسك، يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلي. الصيام لي، وأنا أجزي به، والحسنة بعشر أمثالها" (رواه البخاري).



الحج:

توحيد الله يتجلى في الحج، والحج من العبادات التي يزداد المُوحد فيها توحيداً، ويتحلى فيه بكمال الإيمان؛ ففي الحج يعلن الحاج التوحيد منذ بدأه الحج قائلاً "لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك"، بل وفي كل مناسكه ليعود وقد تخلص من ذنوبه كيوم ولدته أمه، مُجرباً للتوحيد مُعلنًا به، والحج هو قصد البيت الحرام في وقت الحج بنية أداء مناسك الحج كما جاءت عن الله وكما حجَّ رسوله ﷺ، وهو فريضة من الله على عباده بنصوص الكتاب والسنة، وانعقاد الإجماع.

قال ﷺ: "إنما جعل الطواف بالكعبة وبين الصفا والمروة ورمي الجمار؛ لإقامة ذكر الله ﷻ" (رواه أحمد).

ومن آثار الحج في حياة العبد:

١. سبب لتكفير الذنوب والخطايا، قال ﷺ: "أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها، وأن الحج يهدم ما كان قبله.." (رواه مسلم).
٢. الحج امتثال لأمر الله، فيفارق أهله، ويترك ولده، ويتجرد من ثيابه، ويُعلن توحيد ربه امتثالاً لأمر الله وهذا أعظم ما يكون عليه الامتثال.
٣. الحج سبب لرضا الله، ودخول الجنة، قال ﷺ: (الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة) (متفق عليه).
٤. الحج إظهار عملي لمبدأ المساواة والعدل بين الناس؛ وذلك حينما يقف الناس موقفاً واحداً في صعيد عرفات لا تفاضل بينهم في أي عرض من أعراض الدنيا، وإنما يتفاضلون بتقواهم وتوحيدهم لله.
٥. في الحج توثيق لمبدأ التعارف والتعاون؛ حيث يقوى التعارف ويتم التشاور ويحصل تبادل الآراء، وذلك فيه ما فيه من النهوض بالأمة ورفع مكانتها القيادية.
٦. الحج يدعو للتوحيد والإخلاص؛ مما ينعكس على حياته كلها بعد ذلك، لا يُوحِد إلا الله ولا يدعو إلا الله.

